

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[69] القاعدين). وهناك كلام بين المفسرين في المراد بـ "قلل اقعءوا" فمن هو القائل؟! أهو الأ سبحانه، أم الذبي، أم باطنهم؟! الظاهر أنه أمر تكويني نهض من باطنهم المظلم، وإنه مقتضى عقيدتهم الفاسدة وأعمالهم القبيحة، وكثيراً ما يرى أن مقتضى الحال يظهره في هيئة الأمر أو النهي. ويستفاد من الآية محل البحث أن لكل عمل ونية اقتضاءً يُبتلى به الإنسان شاء أم أبى، وليس لكل أحد قابلية السير في سبيل الأ وتحمل الأعباء الكبرى، بل هو توفيق من قبل الأ يوليه من يجد فيه طهارة النية والإستعداد والإخلاص. وفي الآية التالية إشارة إلى هذه الحقيقة، وهي أن عدم مساهمة مثل هؤلاء الأفراد في ساحة الجهاد ليس مدعاة للتأثر والأسف فحسب، بل لعله مدعاة للسرور، لأنهم لا ينفعونكم فحسب، بل سيكونون بنفاقهم ومعنوياتهم المتزلزلة وانحرافهم الأخلاقي مصدراً لمشاكل أخرى جديدة. والآية في الحقيقة تعطي درساً للمسلمين أن لا يكثرثوا بكثرة المقاتلين أو قلتهم وكميتهم وعددهم، بل عليهم أن يفكروا في اختيار المخلصين المؤمنين وإن كانوا قليلاً، فهذا درس لمسلمي الماضي والحاضر والمستقبل. وتقول الآية: (لو خرجوا فيكم) أي إلى تبوك للقتال (ما زادوكم إلا خبالاً). "الخبال" بمعنى الإضطراب والتردد. والخبال على زنة "الأجل" معناه الجنون. والخبالُ على زنة "الطبال" معناه فساد الأعضاء. فبناءً على ذلك فإن حضورهم بتلك الروحية الفاسدة المقرونة بالتردد والنفاق لا أثر له سوى إيجاد الشك والتردد وتثبيط العزائم بين جنود الإسلام. وتضيف الآية قائلة: (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة) (1) _____ 1 - أوضعوا من مادة الإيضاع ومعناه، الإسراع في الحركة، ومعناه هنا الإسراع في النفوذ بين صفوف المقاتلين، والفتنة هنا بمعنى التفرقة واختلاف الكلمة.